رواية

إليكَ

إن أخبركَ القلب أن تحب فلا تفعل وإن أخبركَ أن تكره فلا تفعل فأنما هو
جنة إن أدخلته بشرًا أخذَ جنتكَ وبؤتَ بجحيمه

أسامة قائد

2025م

إليك

رواية

أسامة قائد

© جميع الحقوق محفوظة لمجلة نور الثقافية.

عنوان الكتاب:إليك

نوع الإصدار: رواية

الناشر الإلكتروني: مجلة نور الثقافية.

رقم الاعتماد الدولي:Daan-A-25-000187

إشراف عام ورئاسة التحرير:Abeer Aladdad

للمتابعةُ والتواصل:

فيسبوك:https://www.facebook.com/profile.php?id=61562163452O

الموقع الإلكتروني:https://noorislal.blogspot.com/

يسمح بنشر محتوى المجلة بأي شكل من أشكال النشر الإلكتروني مع ذكر المصدر: #اسم الكتاب والناشر(مجلة نور الثقافية) واسم الكاتب

ولا يجوز اقتباس أي جزء من محتوى المجلة بهدف الإساءة أو إعادة إنتاجه بشكل مادي أو معنوي إلا بموافقة إدارة المجلة.

إن الآراء الواردة في المجلة تعبر عن أصحابها
ولا تعبر بالضرورة عن رأي مجلة نور الثقافية.

الإهداء

الى نفسي التي عاشت ما لم تخبر به أحدًا، وصبرت حين لم يكن الصبر خيارًا، وتعلمت كيف تقف بعد كل سقوط دون أن تشتكي، الى ذلك الجزء الصامت في داخلي الذي كان ينكسر في الخفاء ثم ينهض وكأن شيئًا لم يحدث، الى قلبي الذي لم يكن قويًا دائمًا لكنه كان صادقًا بما يكفي ليحمل كل هذا دون أن يتخلى عن إنسانيته، أهدي هذا العمل.والى الأيام التي لم تكن عادلة دائمًا لكنها كانت صادقة، التي منحتني من الدروس ما لم تمنحني من الراحة، الى تلك اللحظات التي مرت كأنها عابرة ثم بقيت في داخلي كأنها عمر كامل، الى كل وقت ظننته عاديًا فاكتشفت لاحقًا أنه كان يصنعني بصمت، أهدي هذه الكلمات.والى كل من يشبهني، الى كل قلب أحب بصدق ثم وجد نفسه وحيدًا في منتصف الطريق، الى الذين لم تكتمل حكاياتهم لكنهم أكملوا الحياة، الى الذين تعلموا كيف يبتسمون بينما كانت أرواحهم ترتب خرابها بصمت، الى الذين فهموا متأخرًا أن بعض الأشخاص لا يرحلون حين يرحلون، لأنهم يتركون فينا ما يكفي ليبقوا، أهدي هذا الشعور قبل أن أهدي النص.والى تلك المشاعر التي لم تكتمل لكنها لم تكن ناقصة في صدقها ، الى تلك الذكريات التي لم تعد تعني شيئًا للزمن لكنها ما زالت تعني كل شيء للقلب، الى كل لحظة شعرت فيها أنني أملك العالم ثم اكتشفت أنني كنت أتعلم فقط كيف أفقده، أهدي هذا الامتنان الذي جاء متأخرًا لكنه كان حقيقيًا.

شكرًا لتلك اللحظات التي جعلت مني كاتبًا، شكرًا لكل ما مر ولم يبقَ إلا أثره، ولكِ أنتِ الأولى لأنكِ جعلتِ مني إنسانًا يرى ما خلف الكلمات لا ما

يُقال فقط، ولكِ أنتِ الثانية لأنكِ جعلتِ من كاتبٍ يتذوق الحروف قبل أن يكتبها، فصرتُ أبحث عن المعنى قبل العبارة، وعن الشعور قبل النص، ولكما شكرًا لا يُقال مرة واحدة بل يُعاش كلما كتبت.وللحياة شكرًا رغم قسوتها، لأ نها لم تمنحني ما أردت دائمًا لكنها منحتني ما جعلني أفهم، ولإخفاقي وفشلي شكرًا لأنهما لم يكونا نهاية بل بداية وعيٍ آخر، لأن كل ما لم ينجح علمني كيف أرى الطريق بشكل أوضح، وكيف أقبل نفسي كما أنا لا كما كنت أريدها أن تكون، فبعض الخسارات لم تكن خسارة، بل كانت إعادة ترتيب هادئة لما كان يجب أن يتغير.

وهكذا، لا أكتب هذا الإهداء لأقول إنني تجاوزت، بل لأقول إنني فهمت، ولا لأعلن نهاية الحكاية، بل لأمنحها مكانها الصحيح في داخلي، حكاية لم تكتمل ، لكنها كانت كافية لتجعلني أكتب، وكافية لأقول أخيرًا، شكرًا لكل ما كان، ولكل ما لم يكن، ولكل ما جعلني أصل الى هذه الكلمات

مدخل

حين يبدأ الغياب حضورًا، وينتهي الحضور غيابًا، حيث نتعلم أن القرب قد يكون أبعد من المسافات، وأن البعد قد يكون أقرب مما نظن، فليست كل النهايات انتهاء، ولا كل البدايات بداية، بل بينهما منطقة رمادية تشبهنا أكثر مما نشبه أنفسنا، نعيش فيها نصف الحقيقة ونخفي نصفها، نحب فيها بصدق يُخيفنا، ونخاف بعمق يُقنعنا أننا نحب، فنمضي ونحن نظن أننا نختار، بينما نحن نُساق بهدوء الى ما كُتب لنا دون أن ننتبه، وهنا تحديدًا تبدأ الحكايات التي لا تُحكى، تلك التي لا تنتصر ولا تنهزم، لا تكتمل ولا تنكسر تمامًا، بل تبقى معلقة بين ما كان يمكن أن يكون وما كان يجب أن لا يكون، فنفهم متأخرين أن بعض القلوب تُفتح لتُختبر لا لتبقى، وأن بعض المشاعر تولد كاملة لكنها تعيش ناقصة، وأن الصدق أحيانًا لا ينقذ، كما أن الكذب لا يُفسد دائمًا، وأن ما نظنه خسارة قد يكون النجاة التي لا نشكرها إلا بعد أن نتعب بما يكفي لنراها، وأننا لا نتألم لأننا فقدنا، بل لأننا فهمنا متأخرين، ولا نشتاق لأننا نريد العودة، بل لأن شيئًا فينا لم يغادر بعد، وهكذا نمضي بين ضدين لا يجتمعان، بين قلبٍ يريد أن ينسى وعقلٍ يُصر على التذكر، بين يقينٍ يُهدئنا وشكٍ يعيدنا، حتى ندرك أخيرًا أن بعض الحكايات لا تُقرأ لتُفهم، بل تُشعرنا بما لم نكن نعرف أننا نحمله، وأن هذه الكلمات ليست بداية رواية، بل انعكاسا قد ترى فيها نفسك قبل أن ترى الحكاية .وتجد حكاية لا تبحث عن إقناعك بصدقها، بل تترك لك أن تشعر بها، وربما، في سطرٍ عابر، ستجد شيئًا يشبهك، أو شعورًا مر بك يومًا ولم تعرف كيف تسميه، فتبقى مع هذه الكلمات لا لأنك تبحث عن نهاية، بل لأنك تحاول أن تصالح بداياتك التي لم تكتمل فإليك.....

ليست كل الحكايات تبدأ من لقاء، بعض الحكايات تبدأ من فراغ خفيف لا يُرى، من شعور غامض بأن في الداخل مكانًا لم يسكنه أحد بعد، ومن ذلك الصمت الذي يبدو عاديًا للناس، بينما هو في الحقيقة انتظارٌ طويل لشيء لا نعرف اسمه .كنت أمشي في أيامي كما يمشي من تعود أن يضع قلبه في جيبه لا في صدره، أتعامل مع العمر كما لو أنه دفتر حضور لا حياة، أصحو، أمضي، أعود، وأقنع نفسي بأن الهدوء سلام، حتى جاء ذلك اليوم الذي لم يحمل في ظاهره ما يستحق الذكر، لكنه كان في باطنه بداية الوجع كله، البداية التي لا تشبه البدايات، لأنها لم تأتِ صارخة، بل جاءت هادئة كالمطر أول الليل، خفيفة كنسمة لا ينتبه لها أحد، وعميقة كشيء قديم كان ينتظر فرصته ليعود.

لم تكن الحياة يومها سيئة الى الحد الذي يدفعني للبحث عن نجاة، ولم تكن جميلة الى الحد الذي يجعلني مكتفيًا .كنت في منزلة بين منزلتين؛ لا سعيدًا بما يكفي لأنسى السؤال، ولا حزينًا بما يكفي لأبكي، كنت مجرد إنسان يعبر أيامه بحذر، يضع على وجهه ملامح تشبه الطمأنينة، وفي داخله قلقٌ متقن ا لأدب، لا يصرخ، لكنه لا ينام .كنت قد دخلت الجامعة وفي رأسي من الأحلام ما يكفي لصناعة مستقبل كامل، وفي قلبي من البرود ما يوهمني أنني أكبر من الارتباك، وأنني لن أكون يومًا من أولئك الذين تغيرهم نظرة، أو تربكهم مصادفة، أو يهزمهم حضور شخص واحد .كنت أظن أنني أعرف نفسي جيدًا، وأثق بذلك النوع من الجهل الذي يسمي نفسه معرفة، حتى جاءت هي، لا لتأخذني من نفسي، بل لتكشف لي أنني لم أعرف نفسي أصلًا.

لا أذكر اليوم الأول كما يتذكر الناس الأيام الأولى عادة، لا أذكر لون السماء ولا عدد الوجوه ولا ترتيب المقاعد ولا شكل الساعة المعلقة على الجدار،

لكنني أذكر شيئًا واحدًا فقط، أذكر أن قلبي يومها لم يكن كما كان قبله .كأن شيئًا ما في داخلي التفت فجأة، كأن بابًا قديمًا فُتح دون استئذان، كأن الصمت الذي عاش طويلًا في صدري ارتبك، ثم وقف حائرًا أمام معنى جديد لا يعرف كيف يسميه .لم تكن أجمل امرأة في الأرض كما تصف الروايات حين تبالغ، ولم أكن أكثر الرجال استعدادًا للحب كما يزعم الأبطال في نهاياتهم المستعجلة، لكن بيننا كان شيء لا يحتاج الى أوصاف كبيرة، كان شيئًا بسيطًا في شكله، هائلًا في أثره، شيئًا يشبه الألفة التي تأتي قبل المعرفة، والطمأنينة التي تسبق البرهان، والقلق الجميل الذي يجعلك تشعر أن شيئًا في حياتك قد بدأ دون أن يطلب إذنك.

ومن الغريب أن الأشياء العظيمة لا تأتي دائمًا في صورة عظيمة، قد تأتي في التفاتة، في سؤال عابر، في لحظة صمت أطول بقليل من المعتاد، في اسم يُنطق لأول مرة فيرتبك الهواء حوله كأن الحروف عرفت أنها ستظل عالقة في الذاكرة سنوات .كنت أراها فأبدو طبيعيًا الى الحد الذي يثير السخرية، أجيب، أبتسم، أمشي، أتحدث، أشارك في تفاصيل اليوم كما لو أن شيئًا لم يحدث، ثم أعود الى وحدتي فأكتشف أن كل شيء قد حدث .كانت المسافة بيني وبين العالم تتسع، والمسافة بيني وبينها تضيق، لا لأنها اقتربت كثيرًا، بل لأن حضورها بدأ يتمدد في داخلي حتى صار أكبر من الواقع نفسه .صرت أعرف اليوم من احتمال لقائها، وأقيس الوقت بعدد اللحظات التي تمر دون أن أراها، وأفهم التعب على أنه يوم عادي لا ذكر لها فيه.

كنت أتعجب من نفسي، من هذا التبدل الهادئ الذي لا ضجيج فيه .لم أصبح شاعرًا فجأة، ولم أتحول الى رجل يُكثر من التأمل أمام النوافذ، لكن شيئًا من الشعر تسرب الى نظرتي للأشياء، وشيئًا من الرقة دخل الى صوتي دون

أن أشعر، وحتى حزني القديم الذي كان مبهمًا صار أكثر تهذيبًا، كأنه تعلم أن يجلس مستقيمًا في حضرتها .كانت تملك تلك القدرة الخفية على جعل العالم أقل قسوة دون أن تقصد، وعلى منح اليوم العادي معنى إضافيًا لمجرد أنها عبرت فيه .وكنت أملك، في المقابل، ذلك العجز النبيل الذي يجعل الإنسان يشعر كثيرًا ولا يقول إلا القليل.

لم يكن بيننا ما يمكن للناس أن يسموه قصة .لم تكتب وعود، ولم تعقد عهود، ولم نمشِ تحت المطر كما تفعل الحكايات التي تريد أن تقنعنا بأنها خالدة .كان كل شيء عندنا أكثر بساطة، وأكثر خطورة أيضًا .كانت القصة تحدث في التفاصيل التي لا يراها أحد؛ في الطريقة التي أبحث بها عنها بعيني قبل أن أعترف لنفسي بذلك، في التغير الخفيف الذي يصيب ملامحي حين تقترب، في ارتباكي المنظم الذي أحاول إخفاءه بفائض من الاتزان، في قدرتها الغريبة على أن تجعلني أراجع جملة عادية بعد أن أقولها، فقط لأنها سمعتها .كانت الحكاية كلها قائمة على ما لا يقال، ولذلك كانت أكبر من الكلام.ولأننا لم نكن نمتلك الشجاعة الكاملة، أو لأن الحياة كانت أقدم من أحلامنا وأكثر خبرة في كسرها، تركنا المشاعر تنمو على طريقتها البطيئة، لا نعترف بها تمامًا ولا ننكرها تمامًا، نعاملها كما لو أنها سر مشترك لا يحق لأحد فضحه، حتى نحن .كنا نقترب بخطوات محسوبة، كأننا نخاف من الوضوح أكثر مما نخاف من الضياع .وربما كان هذا هو الخطأ الأول: أننا منحنا الخوف حق إدارة القصة، فصار يقودنا الى نصف اعتراف، ونصف موقف، ونصف حضور، ونصف غياب، حتى امتلأت الحكاية بأنصاف الأشياء، وأنصاف الأشياء يا صديقي تتعب القلب أكثر من اكتمال الألم نفسه.

كنت حين أعود الى البيت أحمل اليوم كله في رأسي، ثم أسقط منه كل

شيء إلا ما يخصها .أذكر كلمة قالتها عفوًا فأبني عليها ليلًا كاملًا من التأويل، وأتذكر نظرة عابرة فأعاملها كما لو أنها حدث تاريخي يحق له أن يُحفظ في الذاكرة .كنت أضحك من نفسي أحيانًا، وأحزن عليها أحيانًا أكثر .لأنني أعرف أن الطريق الذي أمشي فيه ليس واضحًا، وأن الشعور الذي يكبر داخلي لا يملك اسمًا رسميًا بعد، لكنني كنت مع ذلك أمضي، لا لأنني شجاع، بل لأن القلب حين يبدأ في كتابة حكايته لا يستأذن العقل، وحين يُولد فيه معنى جديد يصبح التراجع عنه نوعًا من الخيانة.

لم تكن هي السبب الوحيد في تغيري، لكنها كانت المرآة التي رأيت فيها ما تغير .صرت أكثر ميلًا الى الصمت، لا لأن الكلام نقص، بل لأن الداخل ازداد . وصرت أرى الناس بطريقة مختلفة؛ أتعاطف أكثر، أستعجل أقل، وأشعر أن لكل إنسان جرحًا خفيًا يخبئه بملابس عادية وكلمات عادية وابتسامات تبدو سليمة .الحب لا يجعلنا نرى المحبوب فقط، بل يجعلنا نرى العالم كله بعين جديدة، عين أكثر رقة وأشد ألمًا في الوقت نفسه .ومنذ عرفتها، صارت الأ شياء كلها تحمل طبقتين: ظاهرًا يراه الناس، وباطنًا لا يراه إلا قلبي.

وكان قلبي في تلك الفترة يشبه مدينة مضيئة من بعيد ومحترقة من الداخل .يبدو هادئًا لمن ينظر، بينما كانت فيه طرق كثيرة لا تعرف الى أين تمضي .كنت أخاف من فقدها قبل أن أحصل عليها، وأشتاق الى شيء لم يصبح لي أصلًا، وأغار من احتمالات لا دليل عليها، وأبني في خيالى مستقبلًا كاملًا من مجرد قرب بسيط لا يحتمل كل هذا التفسير .كنت أعيش في مساحة بين الحقيقة والاحتمال، مساحة جميلة في ظاهرها، مرهقة في جوهرها، لأن الإنسان لا يتعب فقط من الألم، بل يتعب أيضًا من الأمل حين يطول ولا يجد صورة واضحة.

ومع الأيام صار حضورها مألوفًا بالقدر الذي يجعله ضروريًا .لم أعد أسأل هل أحببت، بل صرت أسأل كيف وصل الأمر الى هذا الحد وأنا لم ألحظ الطريق . كانت تتحول في داخلي من شخص أحبه الى معنى أسكنه، من وجهٍ أعرفه الى أثرٍ يصعب نزعه من الروح .هناك أشخاص ندخل معهم في علاقة، وهناك أشخاص يدخلون في تركيبنا النفسي حتى يصبح وجودهم جزءًا من طريقة شعورنا بالعالم، وهي كانت من الصنف الثاني، ولهذا كان الأمر أعقد وأعمق . لم تكن مجرد حكاية يمكن أن تنتهي، بل كانت جزءًا من اللغة التي صار قلبي يتكلم بها.

ومع ذلك، لم أكن ساذجًا الى الحد الذي يجهل هشاشة الأشياء .كنت أعرف أن الواقع لا يُدار بالعاطفة وحدها، وأن الحياة ليست عادلة بما يكفي لكي تكافئ كل قلب صادق بما يتمناه، لكن المعرفة شيء، والقدرة على التسليم شيء آخر .كنت أعرف أن بعض القصص تولد ناقصة، وأن بعض العلاقات تُكتب عليها المسافة قبل اللقاء، وأن الناس لا يخسرون دائمًا بسبب قلة الحب، بل أحيانًا بسبب كثرة العوائق، وتفاوت الأزمنة، واختلاف الاستعداد، ومكر الظروف التي تتسلل بين قلبين كأنها لم تُخلق إلا لتفصل بينهما .كنت أعرف كل هذا، لكنني كنت أتظاهر بالنسيان كلما رأيتها، لأن العقل مهما بلغ من فطنة يبقى عاجزًا أمام لحظة صغيرة يمنحها القلب أكثر مما تستحق من الخلود.ثم بدأت الحياة، على عادتها القديمة، تُظهر وجهها الآخر .صارت الأيام أثقل، والتفاصيل أصعب، والمسافات بين اللحظات الجميلة أطول .لم يتغير شيء فجأة، بل تغير كل شيء ببطء، كما تذبل وردة موضوعة في مكان جيد الظاهر، سيئ الهواء .بدأ التعب يتسلل الى الكلام، وبدأ الصمت يزداد حتى صار أحيانًا أطول من احتمالنا، وبدأت أفهم أن المشاعر وحدها لا تكفي

لبناء نجاة .كانت هناك أشياء كثيرة أكبر منا؛ ظروف لم نصنعها، وأسئلة لم نجد لها جوابًا، ومخاوف لم نعرف كيف نتجاوزها دون أن نخسر شيئًا من أنفسنا .وكلما حاولت أن أطمئن قلبي بأن الصدق يكفي، جاءت الحياة لتقول لي إن الصدق وحده جميل، لكنه ليس دائمًا كافيًا.

وما أقسى أن يحب الإنسان بصدق في وقت لا يساعده، وفي سنٍ لا يرحمه، وفي ظروف لا تنصفه .كنا نظن أن النية الطيبة طريق مستقيم، ثم اكتشفنا أن الطريق قد يكون مستقيمًا والقدر أعوج، وأن القلب قد يخلص والحياة لا تتعاون، وأن أجمل ما فينا قد يصبح سببًا في أكثر ما يؤلمنا .لم نكن سيئين ، لم يكن أحدنا خائنًا للآخر، ولم تحدث تلك الكوارث الدرامية التي يحبها الرواة لأنها تبرر النهاية بسهولة .كانت النهاية عندنا أهدأ من ذلك وأشد قسوة .لم يفسد الحب، بل ضاق عليه العالم .لم تنتهِ المشاعر، بل عجزت عن العبور .لم نفقد بعضنا لأننا أردنا، بل لأن ما بين الإرادة والقدرة مسافة لا يراها إلا من عاشها.

ثم جاء ذلك اليوم الذي لا أستطيع أن أسميه يوم الفقد تمامًا، لأنه لم يحمل صورة الوداع الصريحة .لا باب أُغلق بعنف، ولا دموع سالت أمام الشهود، ولا جملة أخيرة تصلح لأن تُحفظ .كان كل ما في الأمر أن شيئًا ما انكسر في الخفاء، وأننا عرفنا بصمتٍ طويل أن الطريق الذي كان يتشكل بيننا بدأ يتلاشى .وهذا النوع من الفقد هو الأشد إيلامًا، لأنك لا تجد لحظة واحدة تشير إليها وتقول هنا انتهى كل شيء .بل تجد النهاية موزعة على أيام، على فتورٍ يتسرب، على محاولات لا تنجح، على صبرٍ يتعب، على قلبٍ يحاول أن يتمسك بما يفلت من بين يديه .الفقد الصريح قاسٍ، نعم، لكنه على الأقل واضح .أما الفقد الذي يأتي متدرجًا فهو يشبه الموت البطيء لشيء تحبه،

وأنت ترى انطفاءه ولا تملك إلا الدعاء.بعدها اصبحت شخصًا يشبهني ولا يشبهني .أمشي كما كنت أمشي، وأتكلم كما كنت أتكلم، وأدرس وأضحك وأجيب وأشارك، لكنني في الداخل كنت أقل بكثير مما أبدو .تعلمت يومها أن الإنسان يستطيع أن يواصل حياته مكسورًا، وأن الانهيار ليس دائمًا صراخًا، بل قد يكون انتظامًا مبالغًا فيه، وهدوءًا مريبًا، وقدرةً عجيبة على الظهور بمظهر من تجاوز، بينما هو في الحقيقة لم يتجاوز شيئًا .كنت أعيش وكأنني خرجت من حريق دون أن تحترق ثيابي، لكن رائحة الدخان بقيت في روحي ، لا يراها أحد، ولا أستطيع إنكارها.

أصبحت أعود الى الأماكن القديمة بحذر من يزور مقبرة لا يريد الاعتراف بأنها مقبرة .كل شيء كان يبدو كما هو، لكنه لم يكن كما هو .الجدران نفسها، الممرات نفسها، الوجوه نفسها، لكن المعنى تغير .أدركت لأول مرة أن ا لأماكن لا تعرف بأسمائها فقط، بل بمن مروا فيها وتركوا على هوائها أثرهم . وحين يغيب شخص عن مكان كنت تراه فيه، لا ينقص المكان عددًا فقط، بل تنقصه روحه .ومنذ غيابها، صار كل شيء ناقصًا حتى وهو كامل، ساكنًا حتى وهو مزدحم، باردًا حتى في أشد الأيام حرارة.

كنت أقول لنفسي إنني سأنسى .ثم مرت الأيام، ولم أنسَ .فقلت إنني سأتجاوز .ثم مر العمر قليلًا، فاكتشفت أن التجاوز ليس دائمًا نسيانًا، بل أحيانًا شكلٌ راقٍ من التعايش مع أثر دائم .بعض الناس لا نخرج منهم، ولا يخرجون منا .لا لأننا ضعفاء، بل لأن العلاقة معهم لم تكن حادثة عابرة، بل كانت حدثًا بنيويًا في أرواحنا .هناك أحزان تمر، وهناك أحزان تعيد ترتيب الداخل كله .وهي كانت من النوع الذي لا يمضي كما مضت الأشياء الأخرى، بل يبقى، لا بوصفه جرحًا مفتوحًا طوال الوقت، بل بوصفه ندبة عميقة

تذكرك أنك كنت هنا، وأن قلبك عرف يومًا طريقًا لم يستطع أن يكمله.

ومع الوقت بدأت أفهم أمورًا كثيرة كنت أرفض فهمها وأنا في قلب العاصفة .

فهمت أن الحب ليس أن نصل دائمًا، بل أن نتغير أحيانًا حتى لو لم نصل .

فهمت أن بعض الأشخاص لا يدخلون حياتنا ليبقوا فيها، بل ليأخذوا بأيدينا الى نسخة أخرى من أنفسنا، ثم يمضوا .فهمت أن الفقد ليس دائمًا عقوبة، بل قد يكون قدرًا مؤلمًا يحمل معه شكلًا خفيًا من التربية، يعلمك حدودك، ويكشف لك هشاشتك، ويجعلك أقل غرورًا بمشاعرك وأكثر رحمة بمشاعر الآخرين .وفهمت، بعد ألم طويل، أن القلوب ليست خزائن مغلقة كما نظن، بل هي أراضٍ تتغير بمن يمرون عليها، تزهر أحيانًا، وتجف أحيانًا، وتبقى محتفظة بذاكرة المطر حتى في أقسى مواسم القحط.

لم أعد أبحث عنها كما كنت أفعل من قبل، لكنني أيضًا لم أتحرر منها كما ظننت أنني سأفعل .كانت تقيم في ذاكرتي بإقامة هادئة، لا تحدث ضجيجًا، لكنها لا ترحل .تمر سنوات فلا أتذكرها أيامًا، ثم تعود في لحظة صغيرة: في كلمة تشبهها، في نبرة صوت بعيدة، في شتاء خفيف، في مساء طويل، في كتاب قديم، في اسم يمر عابرًا فينكسر داخلي شيء لا يُسمع .وكنت كل مرة أتعجب من قدرة القلب على الاحتفاظ بما يؤلمه، كأنه يرفض أن يشفى تمامًا حتى لا يخون ما أحب.

هكذا عرفت أن بعض القصص لا تنتهي لأنها لا تحصل على نهايتها الكاملة، بل تبقى معلقة في الروح، لا هي حاضرة بالكامل، ولا هي غائبة بالكامل .

وهذا التعليق هو أشد ما فيها .فالشيء المنتهي يمكن الحداد عليه، أما الشيء الذي بقي نصفه فيك ونصفه في المجهول فإنه يظل يطرقك كلما ظننت أنك أغلقت الباب .ولأن قصتنا كانت من هذا النوع، فقد بقيت أعيشها

بعد انتهائها أكثر مما عشتها وهي قائمة .كنت أراجعها في ذهني، لا لأغيرها، بل لأفهمها .لماذا لم نقل ما كان يجب أن يُقال؟ لماذا تركنا الخوف يتحدث أكثر منا؟ لماذا ظننا أن الوقت سيصبر علينا؟ لماذا وثقنا بقدرتنا على التأجيل وكأن المشاعر عقود قابلة للتمديد؟ أسئلة كثيرة كانت تطرقني، ولم يكن فيها جواب يردها.

ثم مرت السنون، وتخرجنا، ومضى كل واحد الى جهته كما تمضي الأنهار إذا تعذر عليها اللقاء في مصب واحد .بعض الناس يخرجون من الجامعة بشهادة، وبعضهم يخرجون منها بجرح، وبعضهم يخرجون باثنين معًا .وأنا خرجت وأنا أحمل اسمي على ورقة، وأحملها في قلبي على هيئة وجع متحضر .لم أكن منهارًا كما يتصور من لم يعش، لكنني لم أكن سليمًا أيضًا .كنت فقط أكثر هدوءًا، وذلك الهدوء لم يكن راحة، بل تعبًا وصل الى مرحلة الوقار .تعلمت كيف أبدو بخير، وكيف أجيب حين يسألني الناس عن الحياة بكلمات لا تفضحني، وكيف أمشي بثبات رغم أن داخلي كان قد فقد قدرته القديمة على الركض نحو الأشياء.

ومع الأيام أغلقت قلبي، لا إعلانًا، بل دفاعًا .لم أقل يومًا إنني لن أحب، ولم أرفع راية القطيعة مع العالم، لكنني صرت أتعامل مع المشاعر كما يتعامل من نجا من غرق مع البحر: يحترمه، يتأمله، يعرف جماله، لكنه لا يثق بسهولة بأنه سيعود منه سالمًا .صرت أبتسم بحذر، وأقترب بحذر، وأمنح أقل، لا بخلًا ، بل خوفًا من تلك القدرة الرهيبة التي يملكها الحب على إعادة فتح كل ما اعتقدنا أننا ردمناه .وأدركت يومها أن القلب لا يُغلق لأنه مات، بل أحيانًا لأ نه حي أكثر مما يجب، ولأنه عرف من الألم ما يكفي ليصير بابه أثقل من أن يُفتح بسهولة.

ومع ذلك، بقي في داخلي جزء صغير لا يكرهها، ولا يلومها، ولا يريد من الحكاية إلا الرحمة .وهذا الجزء هو أكثر ما أتعبني وأكثر ما أنقذني .لأنه منعني من التحول الى رجل حاقد على الجمال لأنه خذله مرة، ومنعني أيضًا من تقديس الألم كأن الوجع بطولة .بقيت أقول لنفسي إن ما حدث لم يكن خديعة، بل كان قدرًا ناقصًا، وإن ما شعرت به كان حقيقيًا حتى لو لم يكتمل، وإن بعض الأشياء يكفيها أنها كانت صادقة في وقتها، حتى لو عجزت عن الاستمرار .هذه الفكرة لم تشفني تمامًا، لكنها جعلتني أقل قسوة على نفسي، وأقل ظنًا بأن الخسارة دائمًا تعني أن ما سبقها كان وهمًا .لا، لم يكن وهمًا .كان حياةً قصيرة في عمرٍ طويل، وكان نورًا عابرًا لم يدم، لكنه حين عبر كشف لي مناطق معتمة في داخلي لم أكن أعرفها.

ومنذ ذلك الحين وأنا أعيش على طريقتي الجديدة؛ هادئًا أكثر من اللازم، صامتًا أكثر من اللازم، واقعيًا أكثر مما أحب، وحالمًا أقل مما كنت .لكن رغم كل هذا، ما زلت أؤمن أن القلب، مهما أغلق أبوابه، يبقى محتفظًا بمفتاح خفي لا يعرف مكانه أحد .وربما لهذا أكتب، لا لأعيد ما انتهى، ولا لأطالب الحياة بما مضى، بل لأمنح المعنى فرصة أخيرة للظهور .أكتب لأن الكلام، حين يضيق الصدر، يصير شكلًا من أشكال النجاة .أكتب لأقول إننا لا نموت فقط حين نفقد من نحب، بل نموت قليلًا حين نعجز عن شرح ما فعله فقدهم بنا .وأكتب لأن الحكاية التي لا تقال تبقى أثقل من أن تحمل، ولأن بعض الوجع لا يطلب حلًا، بل يطلب فقط اسمًا يليق به.

ولذلك، إن أخبرك القلب أن تكره فلا تفعل، وإن أخبرك أن تحب فلا تفعل على عماه، فإنما القلب جنة إذا صفا، وفتنة إذا اندفع، وهاوية إذا وثق بكل ما يراه نورًا .لا تصدقه دائمًا، ولا تكذبه دائمًا، لكن أنصت إليه حين يرتجف؛

فالرجفة الصادقة أحيانًا أصدق من اليقين .وأنا، وقد عبرت ما عبرت، لا أقول إن الحب خطأ، ولا إن البعد نجاة، بل أقول إننا في بعض الحكايات نصل متأخرين الى أنفسنا، ونفهم بعد فوات الأوان أن المشاعر تحتاج الى شجاعة مثلما تحتاج الى صدق، وأن القلب إذا أحب دون حصافة انكسر، وإذا تحصن دون رحمة تصحر .وبين الانكسار والتصحر عشت أعوامي، أتعلم كيف أبقى إنسانًا دون أن أتحول الى خراب كامل، وكيف أحمل ذاكرتي دون أن أسمح لها بأن تحملني الى الوراء كل مرة.

وهكذا لم تعد المسألة أنها رحلت أو أنني بقيت، بل صارت المسألة أن جزءًا مني توقف هناك، عند تلك المسافة التي لم تقطع، عند ذلك الاعتراف الذي لم يكتمل، عند تلك النهاية التي لم تتشرف بالوضوح .ومنذ ذلك الوقت وأنا أكمل حياتي بنصفٍ يتقدم ونصفٍ يلتفت، بنصفٍ يعيش ونصفٍ يتذكر، بنصفٍ تعلم الحكمة متأخرًا ونصفٍ ما زال يحن الى جهله الجميل .وهذه هي قصتي في أبسط صورها وأقساها: لم أخسر حبًا فقط، بل خسرت النسخة التي كنت أكونها وأنا أحب، وتلك خسارة لا يعوضها شيء بسهولة، لأننا لا نشتاق الى الناس وحدهم، بل نشتاق أيضًا الى أنفسنا التي كانت معهم.

فإن سألتني اليوم كيف أنا، قلت لك: بخير، لكن الخير ليس دائمًا كما تظن . بخيرٍ يشبه بيتًا أُعيد ترميمه بعد حريق، يبدو صالحًا للسكن، لكنه يعرف في داخله أين مرت النار .بخيرٍ يشبه مساءً ساكنًا بعد عاصفة طويلة، هادئ في الظاهر، وفي الهواء بقايا رجفة .بخيرٍ تعلم أن الحياة لا تعيد ما أخذته، لكنها تمنحك قدرة أبطأ وأعمق على الاحتمال .بخيرٍ لا يدعي الشفاء الكامل، ولا يبالغ في تصوير الجرح، بل يقف بينهما وقفة رجل عرف أن النجاة ليست أن تنسى، بل أن تتذكر دون أن تنهار.

هذه إذن ليست حكاية حب مكتمل، ولا قصة فراق تقليدية، بل حكاية أثر .

والأثر لا يموت بسهولة، لأنه لا يعيش في الخارج، بل في تلك الطبقات البعيدة من القلب، حيث تسكن الأشياء التي لا يراها أحد .وأنا لا أكتبها لأ جلها وحدها، ولا لأجلي وحدي، بل لأجل كل من حمل في صدره قصة لم تكتمل، وكل من ابتسم للناس وهو يرتب داخله خرابًا لا يصلح للعرض، وكل من تعلم متأخرًا أن بعض الأبواب حين تغلق لا يكون ذلك قسوة، بل رحمة بما بقي من الروح .القلب مغلق فلا تقلق، لكنه ليس ميتًا، بل متعب، و المتعب لا يحتاج اقتحامًا، بل يحتاج زمنًا يفهمه، وصمتًا لا يؤذيه، ورحمة لا تسأله أن يعود كما كان، لأنه لن يعود كما كان .بعض الأشياء، حين تنكسر، لا تعود الى شكلها الأول، لكنها قد تعود الى هيئة أخرى أكثر هدوءًا، أقل اندفاعًا، وأصدق معرفةً بما تحتمله الحياة وما لا تحتمله.

لم تكن المشكلة أنني لم أستطع النسيان، بل أنني كلما اقتربت منه شعرت أنني أقترب من فقد آخر، فقد النسخة التي عاشت ذلك الشعور، وكأن النسيان لا يسرق الأشخاص فقط، بل يسرقنا نحن أيضًا حين كنا نحبهم، لذلك كنت أتمهل في محاولاتي، لا أقاوم الذاكرة تمامًا، ولا أستسلم لها تمامًا، بل أقف بينهما، أسمح لها أن تمر دون أن تسكن، وأن تطرق دون أن تقتحم، وكأنني أتعلم شكلًا جديدًا من التعايش، لا يقوم على النسيان، بل على التخفف.

الى تلك الأيام التي تلت النهاية، لم يكن فيها شيء حاسم يمكن أن يُسمى بداية جديدة، ولا شيء واضح يمكن أن يُسمى نهاية، كانت مجرد أيام تمضي ، تحمل في ظاهرها كل ما يحمله أي يوم عادي، وفي باطنها ثقل لا يُرى، كنت أستيقظ فأجدني كما أنا، لا أسوأ بما يكفي لأبكي، ولا أفضل بما يكفي

لأطمئن، فقط إنسان يحاول أن يمر من يومه دون أن ينكسر، ويعود في المساء ليراجع نفسه بصمت، كأن الصمت صار اللغة الوحيدة التي تفهم ما لا يُقال.

كنت أجلس بين الناس وأبدو كما ينبغي أن أبدو، أشارك الحديث حين يُطلب مني ذلك، وأضحك حين تفرض اللحظة ضحكتها، وأصمت حين لا يكون للكلا م معنى، لكنني كنت أعرف في داخلي أنني لا أنتمي تمامًا الى تلك اللحظات، أنني أعيشها بنصف حضور، وأن نصفًا آخر مني ما زال عالقًا هناك، في تلك المسافة التي لم تكتمل، في تلك الحكاية التي لم تغلق، في ذلك الشعور الذي لم يجد نهايته، ولا وجد مبررًا كافيًا للرحيل.

الفراغ ليس أن لا يكون حولك أحد، بل أن يغيب شخص واحد كان يكفي ليملأك، أن تجد نفسك وسط ضجيج العالم وتشعر أن كل شيء هادئ أكثر مما ينبغي، لأن الصوت الذي كنت تنتظره لم يعد موجودًا، وأن كل شيء يمضي كما هو، لكنك أنت لم تعد كما كنت، وكأن الحياة استمرت دون أن تلتفت إليك لتسألك إن كنت مستعدًا.

كنت أظن أن الوقت سيكفي، أن الأيام، بطولها وثقلها، قادرة على أن تمحو ما لا يُحتمل، لكنني اكتشفت أن الوقت لا يمحو دائمًا، بل يغير شكل الأشياء، يخفف حدتها، يعيد ترتيبها، لكنه لا يزيلها تمامًا، وأن بعض الذكريات لا تختفي، بل تتوارى، تنتظر لحظة ضعف صغيرة لتعود، لا كما كانت، بل أهدأ قليلًا، وأعمق أثرًا.

الى تلك اللحظات التي كنت أظن أنني تجاوزت فيها، ثم تعود فجأة دون موعد، دون سبب واضح، فقط لأن شيئًا بسيطًا شابهها قليلًا، كلمة قيلت بنفس النبرة، أو طريق مررت به دون قصد، أو مساء يشبه ذلك المساء

القديم، فأشعر أن كل ما بنيته من هدوء قد اهتز قليلًا، لا بما يكفي لأن أنهار، لكن بما يكفي لأن أتذكر أنني لم أتعافَ تمامًا.

كنت أتعلم ببطء أن أعيش دون أن أبحث، أن أقبل أن بعض الأسئلة لا تجد جوابًا، وأن بعض النهايات لا تشرح نفسها، وأنني لست مضطرًا لأن أفهم كل شيء حتى أستمر، يكفي أن أهدأ، أن أترك ما مضى في مكانه، لا أستحضره كل مرة، ولا أهرب منه كل مرة، بل أسمح له أن يكون جزءًا من قصتي، لا كل قصتي.

ومع ذلك، بقي في داخلي ذلك الشعور الغريب، شعور بأن شيئًا كان يمكن أن يكون، لكنه لم يكن، وأن الحياة لا تبنى فقط على ما حدث، بل أيضًا على ما لم يحدث، على تلك الاحتمالات التي لم تكتمل، وعلى تلك الطرق التي لم نمشِ فيها، وعلى تلك الكلمات التي بقينا نؤجلها حتى انتهى وقتها.

لم أعد أبحث عنها كما كنت أفعل، ولم أعد أتخيل لقاءً يعيد كل شيء كما كان، لأنني فهمت أخيرًا أن بعض الأشياء لا تعود، لا لأنها مستحيلة، بل لأنها لو عادت لن تكون كما كانت، وأن ما نشتاق إليه ليس الأشخاص فقط، بل اللحظة التي كنا فيها معهم، تلك النسخة من أنفسنا التي لم نعد نعرف كيف نكونها مرة أخرى.

وهكذا، بهدوء لا يراه أحد، بدأت أتعلم كيف أعيش من جديد، لا كما كنت قبلها، بل كما أصبحت بعدها، بنصف يقبل، ونصف يحن، بنصف يفهم، ونصف يتساءل، بنصف تعلم أن يغلق الباب، ونصف ما زال يقف خلفه، لا ليعود، بل ليتأكد أنه أغلقه بإرادته، لا خوفًا.

القلب مغلق، نعم، لكنه ليس خاليًا، بل ممتلئ أكثر مما ينبغي، ممتلئ بما يكفي لأن يصمت، بما يكفي لأن يهدأ، بما يكفي لأن يدرك أن بعض الأبواب

حين تغلق، لا يكون ذلك نهاية، بل شكل آخر من أشكال النجاة، شكل هادئ، لا يحتفل به أحد، لكنه ينقذ ما تبقى دون أن يُحدث ضجيجًا.

لم يكن التعافي حدثًا مفاجئًا كما يتخيله البعض، لم أستيقظ يومًا لأجد أن كل شيء قد انتهى، وأنني صرت خفيفًا كما كنت قبل أن تبدأ الحكاية، بل كان التعافي أشبه بسير طويل في طريق لا ترى نهايته، تمشي فيه لأن الوقوف أصعب، لا لأنك متأكد أنك ستصل، كنت أخف قليلًا في بعض الأيام، وأثقل في أيام أخرى، وكأن قلبي يتعلم ببطء كيف يعيد توزيع ما بداخله دون أن ينهار.

صرت ألاحظ التفاصيل التي لم أكن أراها من قبل، ليس لأن العالم تغير، بل لأنني أنا تغيرت، صرت أفهم نظرات الناس أكثر، وأصدق صمتهم أكثر من كلا مهم، وأدرك أن كل إنسان يحمل شيئًا لا يقوله، وأن الهدوء الذي يبدو عاديًا قد يكون خلفه حكاية كاملة لم تكتب، وربما لهذا صرت أقل حكمًا على الآ خرين، وأكثر ميلًا للرحمة، كأن الألم الذي مررت به لم يعلمني كيف أحزن فقط، بل كيف أفهم.

لم أعد أهرب من الأماكن التي تذكرني بها، بل صرت أمر بها بهدوء، أنظر إليها كما ينظر إنسان الى صورة قديمة، يعرف أنها انتهت، لكنه لا ينكر أنها كانت يومًا حقيقية، لم يعد في داخلي ذلك الارتباك الحاد، ولا ذلك الشوق الذي يربكني، بل شيء آخر، شيء أقرب الى القبول، لا هو رضا كامل، ولا هو رفض، بل حالة وسطى، أهدأ، وأثقل قليلًا، لكنها أكثر صدقًا.

كنت أظن أنني إذا نسيت سأرتاح، لكنني اكتشفت أن الراحة ليست في النسيان، بل في أن تتذكر دون أن يؤلمك التذكر، أن تمر الذكرى دون أن تسحبك معها، أن تراها من بعيد، لا من الداخل، كأنك خرجت من الحكاية

أخيرًا، وصرت تقرأها بدل أن تعيشها، وهذا التحول، رغم بساطته، كان أصعب من كل ما سبق.

ومع ذلك، بقي في داخلي ذلك الجزء الصغير الذي لا يريد أن ينسى تمامًا، ليس تمسكًا بالماضي، بل وفاءً له، كأنني أقول لنفسي إن ما كان صادقًا لا يجب أن يُمحى كأنه لم يكن، وإن بعض المشاعر، حتى وإن انتهت، تستحق أن تبقى محترمة في الذاكرة، لا لأننا نريد العودة، بل لأننا لا نريد أن نكذب على أنفسنا فننكر أننا أحببنا يومًا.

صرت أتعلم كيف أعيش دون أن أبحث عن شيء ينقصني، لا لأنني اكتفيت، بل لأنني تعبت من البحث، تعبت من تلك الحالة التي تجعلك تنتظر دائمًا شيئًا خارجك ليكملك، فبدأت ألتفت الى الداخل، الى تلك المساحة التي تركتها فارغة طويلًا، وبدأت أملؤها بنفسي، بهدوئي، بعزلتي التي لم تعد مخيفة كما كانت، بل صارت مألوفة، وربما ضرورية.

الى تلك اللحظة التي فهمت فيها أن الحياة لا تتوقف على أحد، وأن القلوب، مهما تعلقت، تستطيع أن تكمل، لا لأنها قوية دائمًا، بل لأنها مجبرة أحيانًا، وأن الاستمرار ليس شجاعة خارقة، بل عادة نتعلمها حين لا يكون أمامنا خيار آخر، نمشي لأننا لا نستطيع أن نبقى، ونكمل لأن التوقف لا يعيد شيئًا.

لم أعد أفكر في ماذا لو، لم أعد أراجع الحكاية بحثًا عن خطأ، لأنني أدركت أن بعض القصص لا تفسر، وأن محاولة فهمها بالكامل قد تكون طريقًا آخر لـ لألم، فاخترت أن أتركها كما هي، ناقصة، غامضة، غير مكتملة، لأنها، في النهاية، كانت كذلك منذ البداية، ونحن فقط كنا نحاول أن نكملها بأملنا .ومع مرور الوقت، صرت أخف، ليس لأنني نسيت، بل لأنني توقفت عن المقاومة، توقفت عن محاولة تغيير ما لا يمكن تغييره، وتوقفت عن مطالبة الحياة بأن

نعيد ترتيب ما بعثرته، قبلت أن بعض الأشياء لا تصلح، بل تترك، وأن بعض الأبواب لا تفتح مرة أخرى، لا لأننا لا نستطيع، بل لأننا لم نعد نريد أن نمر منها.وهكذا، بهدوء يشبه النهاية التي لم تحدث، وجدت نفسي في مكان لم أخطط له، لكنه لم يعد غريبًا، مكان أعيش فيه دون أن ألتفت كثيرًا الى الخلف، ودون أن أخاف كثيرًا من الأمام، مكان بين الذكرى والنسيان، بين الحنين والقبول، مكان لا هو جميل تمامًا، ولا هو مؤلم تمامًا، لكنه حقيقي.

القلب لم يعد كما كان، لكنه لم يعد كما كان يخاف أن يكون، صار أكثر حذرًا، نعم، لكنه أيضًا أكثر فهمًا، صار يعرف أن الحب ليس وعدًا بالبقاء، بل تجربة، وأن بعض التجارب، مهما كانت قصيرة، تترك أثرًا أطول من العمر نفسه، وأننا لا نقاس بما نملكه فقط، بل بما مررنا به أيضًا.ولهذا، إن سألتني الآن، بعد كل هذا، هل انتهت الحكاية، سأقول لك: نعم، انتهت كما تنتهي الأشياء التي لا تعلن نهايتها، انتهت بهدوء، بلا صوت، بلا جملة أخيرة، لكنها لم تختفِ، بقيت في داخلي، لا كوجع يصرخ، بل كأثر هادئ، يذكرني كلما نظرت الى نفسي، أنني، في وقتٍ ما، كنت إنسانًا أحب بصدق، وهذا، رغم كل شيء ، لم يكن خسارة.

الى تلك الحكاية التي لم تكتمل، لكنها علمتني أكثر مما علمتني النهايات الواضحة، الى ذلك الشعور الذي مر في حياتي كنسمةٍ خفيفة، لكنه ترك في داخلي أثرًا لا تمحوه السنوات، الى تلك الأيام التي ظننتها عابرة، فاكتشفت أنها كانت من أكثر ما شكلني، أكتب هذه الكلمات لا لأعيد ما كان، بل لأفهم ما بقي.

الى ذلك القلب الذي كان يظن أن الحب طريق مستقيم، ثم تعلم أن الطرق تلتوي، وأن الوصول ليس وعدًا، بل احتمال، وأن بعض المشاعر تخلق لتعاش

لا لتمتلك، وأن بعض الأشخاص يدخلون حياتنا ليتركوا أثرًا، لا ليبقوا، وأن البقاء ليس معيار الصدق، بل الأثر.

الى نفسي التي كانت تؤمن أن الصدق يكفي، ثم اكتشفت أن الصدق جميل، لكنه لا يحمي دائمًا، وأن القلب إذا أحب بعمق دون أن يحسب حساب الواقع ، فإنه لا يُكافأ دائمًا كما يستحق، بل أحيانًا يُختبر بما لا يحتمل، لا لأنه أخطأ، بل لأنه صدق أكثر مما ينبغي.

الى تلك اللحظات التي لم أقل فيها ما كان يجب أن يُقال، والى ذلك الصمت الذي ظننته حكمة، فاكتشفت متأخرًا أنه كان خوفًا، الى تلك الكلمات التي بقيت عالقة بين القلب والشفاه حتى انتهى وقتها، تعلمت أن بعض التأجيلات ليست حيادًا، بل خسارة مؤجلة.

الى ذلك الفقد الذي لم يكن صاخبًا، لكنه كان عميقًا، تعلمت أن الأشياء لا تقاس بمدى وضوحها، بل بمدى أثرها، وأن الوداع لا يحتاج دائمًا الى كلمات، فقد يحدث في صمتٍ طويل، في فتورٍ يتسلل، في مسافةٍ تكبر دون أن ينتبه لها أحد، حتى نجد أنفسنا في نهايات لم نعلنها، لكنها حدثت.

الى ذلك القلب الذي انكسر ولم ينتهِ، تعلمت أن الانكسار لا يعني النهاية، بل أحيانًا يكون بداية معرفة، معرفة حدودنا، ومعرفة ما نستحق، ومعرفة أن بعض الأبواب، مهما أحببناها، لا تُفتح لنا، لا لأننا لا نستحق، بل لأن الحياة تعرف ما لا نعرف.

الى نفسي التي كانت تخاف من الفقد، ثم عاشت فيه، ثم خرجت منه دون أن تعود كما كانت، أدركت أن الخسارة ليست دائمًا فقدان الآخرين، بل أحيانًا فقدان النسخة التي كنا نكونها معهم، وأن أصعب ما في الحكايات ليس رحيلهم، بل بقاء أثرهم.

الى ذلك الأمل الذي كنت أعلقه على الغد، تعلمت أن الغد لا يحمل دائمًا ما نريده، لكنه يحمل ما نحتاجه، وأن ما لم يحدث، رغم ألمه، قد يكون نجاة لا نفهمها إلا بعد وقت طويل، وأن بعض الطرق، لو اكتملت، ربما كانت ستكسرنا أكثر مما كسرتنا وهي ناقصة.

الى ذلك الحنين الذي يعود دون استئذان، تعلمت أن الحنين ليس دعوة للعودة، بل تذكير بأننا كنا صادقين، وأن القلب، مهما تعافى، يحتفظ ببعض ما مر به، لا ليؤلمه، بل ليذكره أنه عاش، وأن الحياة ليست فقط ما نستمر فيه، بل أيضًا ما فقدناه ونحن نحاول.

الى كل من يقرأ هذه الحكاية ويجد فيها شيئًا منه، لا تحزن لأنك أحببت، و لا تندم لأنك صدقت، فالحب، حتى وإن لم يكتمل، يترك فيك شيئًا أجمل مما تتخيل، يتركك أكثر فهمًا، أكثر عمقًا، وأكثر قدرة على رؤية العالم بعين لا يملكها من لم يمر بما مررت به.

الى ذلك القلب، قل له لا تخف من الإغلاق، فبعض الأبواب تغلق رحمة، لا قسوة، وبعض النهايات، مهما بدت مؤلمة، تكون بداية لسلام هادئ لا يأتي إلا بعد أن تتعب بما يكفي لتفهم.

والى نفسي أخيرًا، التي تعلمت بعد كل هذا، أن الحياة لا تعيد ما أخذته، لكنها تعلمك كيف تعيش بما بقي، وأن النجاة ليست في أن تنسى، بل في أن تتذكر دون أن تنكسر، وأن تمضي دون أن تفقد إنسانيتك، وأن تغلق قلبك حين يجب، لا لأنك لم تعد تحب، بل لأنك عرفت متى يكون الحب استنزافًا لا حياة.

القلب مغلق، فلا تقلق،

ليس لأنه لم يعد يشعر،

بل لأنه شعر أكثر مما ينبغي،

وأدرك أن بعض الأبواب

إن فُتحت مرة أخرى

لن تعيدك كما كنت،

بل ستأخذ منك ما تبقى،

فاختر هذه المرة

أن تبقى كما أنت،

هادئًا، صادقًا،

وممتلئًا بما يكفي

دون أن تحتاج أحدًا

ليُكملك.

الى أبني الذي لم يأتي بعد

"إن أخبرك القلب أن تحب فلا تفعل، وإن أخبرك أن تكره فلا تفعل، فإنما هو جنة إن أدخلت فيه بشراً أخذ جنتك وبوّث بجحيمه.

فالقلب حين يسلّم مفاتيحه، لا يستردها كما كانت، بل يستعيدها مثقلة بالأثر والخذلان.

ولا كل من طرق أبوابه يستحق المقام، فبعضهم عابرون يتركون في الروح ندوباً لا تُرى.

فاحرس قلبك بوعي، لا بقسوة، وازرع فيه ما يبقى لا ما يزول.

فإن سلم القلب من التعلّق الأعمى، نجا، وإن استعبدته الأوهام، هلك وهو يظن أنه يحيا"